سمفونية المفردات في شعر محمود درويش
"بطاقة هوية " أنموذجا

د. مليكة النوي

قسم اللغة العربية

جامعة باتنة -1-

الملخص:

شكل شعر محمود درويش سمفونية من الكلمات المتناغمة ترجمت البعد الإنساني الذي منح شعره بطاقة هوية، ورفعه ليصنف ضمن الشعر الخالد، لقد استضاء الشاعر بمنهج المقاومة فكانت بناه اللفظية حقلا من الطاقات الإيحائية شكلت فضاءات جمالية لقراءات غير محدودة .أخذت الكلمات في قصيدة" بطاقة هوية "منحنيين: الأول تأريخي سجل أحداث الثورة الفلسطينية، والثاني جمالي ارتبط بسيطرة الشاعر على التجربة التي جردها من دلالة الزمان والمكان ومنحها دلالة الإنسان.3

Abstract:

Mahmoud Darwish composed a symphony of harmonious words that translated human dimension which gave his poem an ID card, and raised it to be classified as eternal poetry. The poet as enlightened by resistance methodology. His phonetic structure was a field of inspirational energies which formed aesthetic spaces for unlimited readings. Words in « Identity Card » took two curves: historical that wrote Palestinian revolution's events, and aesthetic related to poet's mastery over the experience which he deprived of the notion of time and space and give them that of human.

مقدمة:

يعد تناغم الكلمات في شعر محمود درويش متنفسا للاضطراب النفسي الذي عاشه الشاعر، جاعلا من هذا التناغم سلما يرتقي به إلى تحقيق جمال الكلمة ورونق العبارة وبعد التأثير، ليهندس شعره بهذه الهندسة الفكرية المتميزة التي مكنت المتلقي من الرقص على أنغام الكلمات، أليس الشعر كما وصفه بول فاليري أنه لون من الرقص بالكلمات [2].حمّل كلماته ما يناسبها من لون الإحساس فغدت نهاية كل قصيدة بداية لرؤية جديدة، فصورة الكلمات في شعر محمد درويش محملة بمعاني الأمل والتحدي والاستمرار/بمعاني الحياة، وهل ثمة أجمل من تناغم الإنسان مع الحياة !

بنى محمود درويش في أشعاره حضارة من المعاني، متتبعا جزئيات الحدث والموقف .ففجرت كلماته إيحاءات لامحدودة فتحت الباب لتناسل المفاهيم، محدثة تفاعلا بين الناص والمتلقي، بل كانت الكلمات في قصيدة" بطاقة هوية "لقاحا ضد كل مسخ أو محاولة إدماج، وكأننا بالشاعر يستحضر قول ابن باديس:

من رام إدماجا له رام المحال من الطلب

ولكن محمود درويش عبر على هذا المعنى بقوله:

سجل

أنا عربي

أنا اسم بلا لقب

من التحليل إلى التأويل:

[2]–جيرار جينيت، حالة مزدوجة للكلمات، تحقيق.مالك سلمان، مجلة كتابات معاصرة،ع18، ص.36.

أفصحت الكتابة الشعرية عند محمود درويش عن رؤية للمجتمع المحيط به، كما ترجمت رسائل أراد إيصالها للآخرين .فالكتابة الشعرية عنده شكل من الكتابة التجريبية، إذ يوظف النقاط والأرقام والأعداد والبياض وهي أشكال بصرية فتحت شهية الدارسين لوضع شعره تحت مجهر الدراسة والتحليل والتأويل، لأن النص الشعري خطاب محمل بالرموز، وحتى لا يبقى في دائرة المسكوت عنه لا بد من جعله تحت مجهر التأويل، وما أعطى شعر محمود درويش هذا النفس الطويل هذه اللغة الشعرية التي جمعت الحلم والتمني، والوعد والوعيد، والرضا والسخط.

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني إذا ما جعت

آكل لحم مغتصبي

حذار ...حذار ...من جوعي

ومن غضبي[3]!

فسحر اللغة العربية لا يقاوم، تقول زيغريد هونكة (كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة).[4] فإذا كان سحر لغتنا العربية قد أوقع الآخرين صرعى فالأولى أن نكون نحن على وعي بجمال لغتنا، هذا الجمال الذي ترجمته اللغة الشعرية في كتابات محمود درويش إذ تميزت بتعدد الأصوات مثلما يحدث عند المزج

[3]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3، 1978 ، ص228..229.

[4]–زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، دار العودة، بيروت،1986 ، ص.24.

بين مختلف الألحان الموسيقية[4] ، ولعل الهم الإنساني الذي كان أحد أركان الحقيقة التي يبحث عنها الشاعر هو الذي جعل تيار اللغة متواصلا بينه وبين شعبه، فكانت لغته متعددة الأصوات، وهكذا حلق محمود درويش بالقضية الفلسطينية إلى آفاق العالمية، وأسمع صوت المضطهدين فانسابت آهاتهم عبر المفردات والكلمات والعبارات، فاتحدت ذات الشاعر بالآخرين كما اتحدت ذاته بالموضوع.

إن طغيان الهم الجمعي على كتابات محمود درويش جعل شعره بهذه الإنسانية فاتحا فضاءات لغوية، ومساحات جمالية وصورا إبداعية، وترى بشرى صالح أن تحقق الصورة الفنية يعني(اتحاد الذات بالموضوع، وأن الشاعر في اندماج حدي معادلة "الذات-الموضوع "ذو موقف انفعالي يوصف بالكلية والتركيب، ويكون ذهنه عند الخلق "الإبداع" في حالة ترابطية متصل).[5] فالاضطراب النفسي الذي عاشه ويعيشه الشاعر، والترحال الدائم، وعدم الاستقرار جعل الكتابة عند محمود درويش متموجة كاشفة عن حقيقة القصيدة الحديثة، يقول أدونيس:(لن تسكن القصيدة الحديثة في أي شكل لأنها تكشف عن إحساس بتموج العالم والإنسان).[6] تموج خارجي تمثل في شكل الكتابة عن طريق السطر، الاستعانة بعلامات الوقف، الفراغات، النقاط، وحتى الشكول الهندسية والتي تكثر عند سعدي يوسف وكلها من اللغة البصرية التي نستعين على دراستها بالمنهج السيميائي.

وتموج على مستوى البناء الداخلي ممثلا في البناء الدرامي الذي ميز قصائد محمود درويش، حيث الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والعدل والظلم، أو قلْ

---

[5]- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1994 ، ص.59.

[6]- أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط3، 1983 ، ص.15.

:إنه الصراع القائم على الثنائيات :صراع بين" الأنا "و"الهو"،" الأنا "ممثلة في ذات الشاعر، بل هي ذات الشعب الفلسطيني.

سجل

أنا عربي

و"الهو "ممثلا في ذات المحتل الغاصب

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا ...ولكل أحفادي

سوى هذي الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم ...كما قيل؟[7]

إن الدعوة للعداء الشامل لليهودية ليست موجودة عند شاعر المقاومة، فالعدو عند شاعر المقاومة محدد ومعروف بمنتهى الوضوح ...إنه الاستغلال والاحتلال والصهيونية[8]، وهذا ما يترجم روح العربي المسالم المحب للآخرين، الذي لا يثور إلا إذا ظلم، ولا ينتقم إلا إذا أسيء إليه

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد.

ولكن إذا ما جعت آكل لحم مغتصبي.

-[7]رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص228،.229

-[8]المرجع نفسه، ص.228.

حذار حذار من جوعي ومن غضبي.

أهمية التأويل في تحقيق المقاربة السيميائية:

شكلت المفردات في قصيدة بطاقة هوية دورا رئيسا في دفع حركة النص، فالشاعر يعمد إلى استحضار الأحداث كما هي، ثم يسعى بعد ذلك إلى خلخلتها محدثا تشظيا مثلته النقاط وغيرها من علامات الترقيم هدفه كسر أفق توقع المتلقي، محدثا دهشة بل غرابة شكلت مشاهد درامية كشفت عن هذا الصراع الذي يعد العمود الفقري في قصيدة "بطاقة هوية"، صراع رسمته ملامح الذات المتكلمة/الشاعر، مع الذات المخاطَبة/المحتل

الذات المتكلمة الذات المخاطَبة

الذات المنكسرة الـذات المـسيطرة

الذات المقودة الـذات القــائدة

الذات المظلومة الـذات الـظالمة

سيميائة العنوان:

"بطاقة هوية:"

بطاقة :ج بطائق، الرسالة، الورقة،" بطاقة الثوب "رقعة صغيرة يذكر فيها ثمنه) آرامية.[9](وردت بطاقة مفردة فدلت على شعور الشاعر بالفردانية.

هوية :من الهو هو، أي هو، هو بتشديد الواو وفتحها، أو تسكينها، والمفردة كما نلاحظ نكرة لتعزز شعور الغربة والفردانية لدى الشاعر، ورغم أن الإضافة تخصص الكلمة إلا أن قول الشاعر" بطاقة هوية "يجعلنا أمام جملة من الاحتمالات إذا قدرنا المبتدأ المحذوف أو الخبر المحذوف، ومن هذه الاحتمالات :

هذه بطاقة هوية -هي بطاقة هوية -بطاقة هويتي.

[9]-المنجد العربي، مجموعة من الأساتذة، مصر، ص.42.

بطاقة هوية لي -بطاقة هوية لشعبي -بطاقة هوية الفلسطيني.

فباعتماد التأويل يقرأ العنوان قراءات مختلفة، انطلاقا من ثنائية الظاهر والباطن، فاعتماد الشاعر على الحذف حقق له تجاوز المألوف، لأن الإبداع لا يتحقق بكلمات لا تعرفها المعاجم ولكن بطريقة التركيب حيث تنام الأفكار العذارى تنتظر في حياء من يطلب يدها لتخرج إلى آفاق الشعرية والجمالية.

فالتصرف في الصياغة التركيبية بالتقديم والتأخير، أو الحذف والذكر، أو التعريف والتنكير وغيرها إنما لتحقيق الدلالات المفتوحة للفظة داخل السياق، وقد تفطن اللغويون العرب إلى هذه الفنيات والجماليات فتوقفوا عندها، من ذلك تعليق الجرجاني على لفظة" حياة "التي وقعت نكرة في قوله تعالى:(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة[10](فقال)فإذا أنت راجعت نفسك وأذكيت حسك وجدت لهذا التنكير وإن قيل" على حياة "ولم يقل على الحياة حسنا وروعة ولطف موقع لا يقادر قدره. وتجدك تعدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الأريحية والأنس إلى خلافهما، والسبب في ذلك أن المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من أصله)[11]، أي أن لهم أن يزيدوا على حياتهم في ماضي الوقت وحاضره حياة في المستقبل، ولا تستطيع أن تقول :أن يزيدوا إلى حياتهم الحياة بالتعريف، لأن التعريف تخصيص والحكم هنا على الإطلاق.

---

[10]- سورة البقرة، الآية.96

[11]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999، ص222.،.223

وظائف العنوان:

عرف ليو هويك Leo Hoek العنوان بأنه مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينه لتشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف .[12] فالعنوان رسالة للمتلقي، وكلما كان استفزازيا كان أكثر تشويقا وإثارة للمتلقي ليبحر في أعماق النص، هدفه معرفة العلاقة بين العنوان والمتن، من هنا تعددت وظائف العنوان، ما جعل العنوان الواحد يترجم أكثر من وظيفة، فمن الوظائف التي أسندتها جيرار جينيت إلى العنوان: الوظيفة الإغرائية، الوظيفة الإيحائية، الوظيفة الوصفية، الوظيفة التعيينية .[13]ومن وظائف العنوان: تحريضية، فتح الشهية، إقناعية، إيديولوجية .واللافت أن قصيدة" بطاقة هوية "هي الأولى من قصائد" أوراق الزيتون "وهي– بطاقة هوية– بهذه التركيبة من كلمتين نكرتين تحيلنا إلى الوظيفة الإيحائية، والوظيفة الإيديولوجية. أما الوظيفة الإيحائية فتوحي بأن نكرة المسمى" بطاقة " يوحي بنكرة حامل البطاقة، فالشاعر محمود درويش يشعر كغيره من الفلسطينيين بأنهم نكرة، وخصوصية النكرة في اللغة العربية أنها عامة، وهي لفتة ذكية من الشاعر بأنه وأهله نكرة في هذا العالم، فعدم اعتراف العالم بفلسطين كدولة جعل أهلها نكرة. كما حقق العنوان الوظيفة الإيديولوجية من خلال محاولة الشاعر بث الأفكار التحررية التي تحملها النبرة الخطابية المسيطرة على متن القصيدة.

أما سيميائية عنوان الديوان" أوراق الزيتون "فقد عرفت كلمة" أوراق "بإضافتها لـ"الزيتون "فاكتسب العنوان الخصوصية وهي الدعوة للسلم والسلام والأمن والأمان.

–[12]عبد الحق بلعابد، عتبات" جيرار جينيت من النص إلى المناص"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 ، ص.67.

–[13]جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج25 ، ع" 3يناير–مارس"، الكويت، 1997.

هندسة البداية والنهاية:

البداية :شكل الفعل" سجل "متنفسا للشاعر

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

مع افتراض فعل ينوب مناب حرف العطف الواو ، وأطفالي، أي: سجل أن أطفالي ثمانية، سجل أن تاسعهم سيأتي بعد صيف، سجل أنا اسم بلا لقب، سجل جذوري قبل ميلاد الزمان رست.

فالشاعر أراد أن يؤصل لبطاقة هوية من نوع آخر؛ ما جعله يهندس قصيدته بهذه الهندسة الفكرية المتميزة، إذ جعل هذا الخيط الشعوري يربط بين الفعل" سجل "وبقية الجمل على امتداد القصيدة، والدليل أنه جعل :سجل أنا عربي لازمة إذ بدأ بها كل مقطع من المقاطع الخمسة.

فبطاقة هوية في نظر الشاعر لابد أن تكون مكتملة المعلومات، وتضيء كل الزوايا المعتمة، وتزيل الغموض واللبس، وتضع النقاط على الحروف، بطاقة تصور اعتزازه بعروبته، بل تترجم بالأدلة والبراهين ما يثبت هويته التي أراد الآخر تشويهها وطمسها.

هكذا وضع الفعل "سجل" في مواجهة ما بعده، فكانت القصيدة وحدة بنائية متكاملة أظهرت اعتزاز الشاعر بأصالته وانتمائه العربي، وحملت رفضا للإدماج ورفضا للتغريب، وهذه النبرة طغت على النتاج الشعري لمحمود درويش.

يرى يوري لوتمان أن أساس التحليل البنائي هو النظر إلى النتاج الأدبي باعتباره كلا عضويا متكاملا، والنص في ضوء هذا التحليل لا يلتقي كحاصل جمع آلي للعناصر التي تؤلفه، بل إن تفتيت هذه العناصر كل على حدة يترتب عليه فقدان قوام العمل بأكمله، فكل عنصر لا يتحقق له وجود إلا في علاقته ببقية العناصر، ثم في علاقته بالكل البنائي للنص الأدبي.[14] وليحقق محمود درويش هذه البنائية عمد إلى لمّ شمل عناصر النص بالفعل "سجل".

ولون الشعر فحمي.

أي سجل أن لون الشعر فحمي.

ولون العين بني.

سجل أن لون العين بني.

فعملية ذكر لون الشعر ولون العين تأكيد على الأصالة العربية للشاعر وللشعب الفلسطيني، وتحيلنا على الوصف الدقيق الذي ميز كتابات الشاعر (فالوجه هو مرآة النفس البشرية والمعبر عما يختلج ويعتمل فيها من فرح وحزن، وقلق وخجل، وغضب وغبطة، وحسد وغيرة، ويأس وأمل، تجذبنا طيبته وجماله، وتنفرنا قساوته وتجهمه ودمامته، وكثيرا ما نحكم على الإنسان من خلال وجهه حكما صائبا أو جائر).[15]

فالوجه مرآة عاكسة لانفعالات الإنسان، إلا أن العينين أكثر ترجمة لما يجول في النفس من فرح وحزن، وحب وكره...، فلون العين بقدر ما يترجم الانتماء العربي، بقدر ما تبوح العين بما يعتمل في نفس الإنسان، بل إن ما يبدو في العينين يعد لغة، وهذه

– [14]يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ت محمد فتوح أحمد، دار المعارف، مصر، د–ت(، ص.27.

–[15]عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، دار الكتاب العربي، الجزائر،1998 ، ص.107.

الأوصاف / لون الشعر فحمي، لون العين بني / يحيلنا إلى تشكلات إيديولوجية كانت مقصودة من الشاعر فهو لم يحدد شخصا بعينه وإنما المقصود الإنسان الفلسطيني خاصة والعربي عامة (وهو إلى ذلك- أي الوصف -ذو فائدة في تحليل الشخصية الواحدة، وإلقاء الضوء على عالمها الداخلي، والكشف عن طباعها النفسية).[16] فذو الشعر الفحمي، والعين البنية لا يقبل الضيم ولا الظلم ولا العنصرية، بل هو يحمل رسالة السلم والسلام التي ترجمتها صفات هذا الإنسان، فالعيون تتكلم عندما تعجز اللغة عن النطق (ففي مثل هذه الأوضاع تخرص الألسنة، ويستعصي عليها الكلام حرجا أو عجزا فتكون العيون حال الإنسان ومقاله).[17] وهذا يكشف عن وعي الشاعر ومعرفته بلغة العيون ما جعله يوظفها ليحقق دلالات مختلفة، وبذلك يكون قد زاوج بين العلامة اللسانية وغير اللسانية في كثير من المفردات التي ضمنها هذه القصيدة، ومن العلامات غير اللسانية الأرقام، النقاط، وعلامات ترقيم أخرى، وبهذه التقنية الكتابية يكون قد تعامل مع النص تعاملا سيميائيا، قاده إلى اختراق اللغة العادية المألوفة منزاحا لمفردات حملت أبعادا سياسية واجتماعية وإيديولوجية ونفسية، جعلت النص مفتوحا على قراءات متعددة.

النهاية: ويبقى الخيط الشعري الشعوري يربط بداية القصيدة بنهايتها.

"سجل أنا عربي "كلمة مفتاحية، فإذا تتبعنا مقاطع القصيدة ووضعنا اليد على الزمن المعبر به وجدنا الشاعر قد استهل المقطع الأول بفعل أمر /سجل، لينكسر الزمن في بقية المقطع الأول ويطغى المركب الاسمي، أنا عربي، رقم بطاقتي، أطفالي ...ليأتي الفعل المضارع، سيأتي، تغضب مجسدا اللغة الدرامية، ويواصل الشاعر انفتاحه على الحاضر في المقطع الثاني بما يحمل من دلالة التفاؤل والأمل والطموح، أعمل، أسل، لا أتوسل، لا

-[16]إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 ، ص.192.

-[17]محمد كشاش، لغة العيون، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999 ، ص.50.

أصغر، وبقدر انفتاحه على الحاضر انفتح على ما حملته الأفعال من التسلسل المنطقي فهو يعمل ليسل رغيف الخبز في عزة لا يتوسل ولا يصغر، لينهي المقطع بالتحدي والوعيد، حذارحذار من جوعي ومن غضبي (وتمضي القصيدة بهذه النبرة الخطابية المباشرة الصارخة التي تذكرنا بالهتاف في المظاهرات، وتذكرنا أيضا بالشعر العربي القديم وخاصة شعر الفخر ...وكلما قرأت قصيدة" بطاقة هوية "لمحمود درويش تذكرت– على وجه الخصوص -قصيدة الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم المشهورة التي يقول فيها:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق الجاهلينا

أو يقول: إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا

أو يقول: ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

فالتشابه في الموقف الفني والوجداني وليس في الموقف الفكري). [18] بهذه الهندسة الفنية كانت البداية" سجل "وكانت النهاية إصرار الشاعر على تأكيد عروبته بقوله: "سجل"

اللغة الموظفة:

لعل ما يميز اللغة الشعرية أن مفرداتها تصب بمقادير معينة، فالوزن الشعري له ضوابطه، كما أن الإيقاع له سلطته، وقد نوع الشاعر في الألفاظ الموظفة منها:

ألفاظ من الحياة اليومية

يقول السعيد الورقي (لغة الشعر هي التجربة الشعورية مجسمة من خلال الكلمات، وما يمكن أن توحيه هذه الكلمات) .[19] إن لغة الشعر لا تتكوّن بمعزل عن حياة الشاعر وتجربته، بل إن التجربة هي المادة الأساس التي تحول اللغة العادية إلى لغة شعرية شاعرية محملة بالظلال والأبعاد، نافثة في النص لذة وجمالا.

---

[18]– محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، مرجع سابق، ص129.،130.

[19]– السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1998 ، ص.71.

والمتتبع لقصيدة" بطاقة هوية "تستوقفه مفردات متداولة في الحياة اليومية، إلا أن المستوى الفني للشاعر جعله يحلق بهذه المفردات ليكسبها متعة وشعرية منها:

أنا/عربي/، لا يختلف عن قول أحدهم: أنا مسلم، أنا جزائري ...إلا أن الشاعر أدخلها في سياق معجمي شعري أكسبها تميزا حيث سبقت بقوله سجل .وهو فعل أمر فتح الباب للتساؤل لمن الأمر؟ فإن كان للمحتل فهو لا يعترف بعروبة الشاعر؟ أم للعرب الذين نسوا في غمرة انتكاستهم أنهم ينتمون لهذه الأمة؟ أم أن الأمر للتاريخ، سجل أيها التاريخ للأجيال اللاحقة بأني عربي؟ أم أن الأمر للقلم؟ سجل أيها القلم ليعرف الجميع أني عربي .

فهذه التأويلات للفعل الذي سبقها أكسب جملة" أنا عربي" جوا شعريا فأخرجها من لغة الحياة اليومية العادية إلى اللغة الشعرية، من هنا تتبدى لنا قدرة محمود درويش على السيطرة على الألفاظ وقيادتها، وهكذا تعامل مع الشعر على أنه مهارة فنية، يقول عنه حنا أبو حنا (محمود درويش فنان أنبته جذع زيتوننتا الخالدة منذ ثلاثة وعشرين عاما ...أورق وأثمر فأنشد للجذع الراسخ، والأرض الملوعة، والطير المهاجر، يحتضن أعشاشه ويدعو أسرابه إلى العودة).[20]

أنشد للجذع الراسخ ⟵ أنشد للعربي الفلسطيني

والأرض الملوعة ⟵ لفلسطين وكل أرض مغتصبة

والطير المهاجر ⟵ أبناء فلسطين وكل المهجرين

ألفاظ من القرآن الكريم منها :خمسون/ألف، ثمانية، تاسعهم .يحق للمتلقي أن يتساءل لماذا هذه الأعداد والأرقام؟ هل توظيفها لتحقيق الإيقاع؟ أم للضرورة الشعرية؟ أم أن مقاصد الشاعر أبعد من ذلك؟

[20]– محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، مرجع سابق، ص.119.

خمسون/ألف، قال تعالى: (تعرج الملائكة والروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة).[21] فاختيار الشاعر خمسين دون غيرها من الأعداد ليحقق الدلالات الآتية:

أ- خمسون من خمسة، وخمسة في الحضارات القديمة ترمز إلى التحصين من الشرور، وقد وجدنا ذلك في تراثنا الشعبي حيث تعلق في مداخل البيوت والمتاجر يد باعتبارها تحوي أصابع خمسة كتعويذة وتحصين، كما تعلق يد من الذهب أو الفضة على ثوب المولود تحصينا له من العين.

ب- خمسون من خمسة، وأركان الإسلام خمسة، والصلوات خمس.

ج -احتوى النص على مقاطع خمسة وفي ذلك تعزيز لهذا الرقم، وعدد السطور في القصيدة خمس وستون سطرا تقبل القسمة على خمسة.

ومن ألفاظ القرآن ثمانية :اقترنت ثمانية في القرآن الكريم بالشقاء والنعيم والغموض، ولعل حياة الفلسطيني ترجمة لهذا الاختيار/ وأطفالي ثمانية /الطفل بقدر ما يتألم فيشعر بالشقاء، إلا أنه سرعان ما ينسى فيشعر بالنعيم، لأن مساحة الأمل والحلم بالغد المشرق عند الطفل يجعله يشعر بالسعادة.

ثمانية /اقترنت في القرآن بالشقاء في قوله تعالى: (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما).[22]وحياة الفلسطيني عرفت شقاء.

اقترنت ثمانية بملائكة حملة العرش، أليس الأطفال ملائكة الدنيا؟ !قال تعالى: (والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية).[23]

---

[21]-سورة المعارج، الآية.04

-[22]سورة الحاقة، الآية.07

-[23]سورة الحاقة، الآية.17

كما اقترنت بالغموض، فجاء عدد فتية الكهف غامضا فقال تعالى: (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم).[24] ومستقبل الفلسطيني غامض ضبابي .كما حملت ثمانية دلالة التناسل والتكاثر، وهي سمة ميزت حياة العربي.

اقترنت ثمانية بالنعيم :فأبواب الجنة ثمانية. وثمانية رمز لعوالم الكون وهي : الإنس والجن والملائكة/الحيوان والنبات والجماد/عالم" يخلق ما لا تعلمون "وعالم "يخلق ما لا تبصرون "كالذرة وغيرها. ولما كان الشاعر قد عنون قصيدته بـ"بطاقة هوية "فإن هذه التفاصيل الجزئية تمثل بنية فكرية تحيل إلى العنوان إذ ذكر الشاعر بعضا من هذه العوالم صراحة أو ضمنا.

وتاسعهم سيأتي بعد صيف / وردت المفردة في القرآن" تسعة، تسعا، تسع"، قال تعالى: (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) .[25] وتسع في الآية غامضة فقيل وازدادوا تسعا أي تسعمائة، وقيل تسع سنوات.

كما وردت" تسع"، قال تعالى: (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات). [26] وهذه الآيات هي: العصا، اليد البيضاء، الجراد، القمل، الضفادع، الدم، انفلاق البحر، نقص الثمرات، السنين.

وتسعة أطفال في نظر الشاعر آيات تدل على أصالته العربية، كما أنها سمة تميز الجنس العربي عن غيره من الأجناس. وإذا كان الحج عرفة كما ورد في حديث الرسول

[24]–سورة الكهف، الآية.22

[25]–سورة الكهف، الآية.25

[26]–سورة الإسراء، الآية.101

صلى الله عليه وسلم، فيوم عرفة يكون في التاسع من ذي الحجة، ويمتاز الرقم تسعة بأنه الوحيد الذي إذا ضرب بأي عدد آخر ينتج نفسه، مثال:

18=2x9 (9=1+8) و 27=3x9 (9=2+7) و 36=4x9 (9=3+6) ... وغيرها من العمليات .وثبات الناتج دليل على ثبات مبدإ الشاعر، وثبات منهج المقاومة.

كما جاءت المفردة/ تسعة /قال تعالى: (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون).[27] فتوظيف لفظتي ثمانية وتاسعهم لم يكن اعتباطا ولكنه حقق مفارقات عاشها الإنسان الفلسطيني؛ مفارقة الحزن والفرح، الشقاء والسعادة، الأمل والألم . هكذا اكتسبت المفردات في هذا النص شرعيتها بخروجها عن أنماط التعبير المألوف، فشكلت سمفونية ذات أنغام مختلفة، إذ تفاعلت الدلالة والصوت فكشفت عن قدرة الشاعر على صناعة فن القول، ليحقق الغاية التأثيرية والجمالية للنص، وخلاصة القول إن هذه الأعداد والأرقام أقنعة لحالات نفسية ترسبت في لاشعور الشاعر، وقد عملت متعاضدة مع الفضاء الألسني لتحقيق أبعاد إيمائية جمالية لا تتحقق بفضاء واحد، فالدراسة السيميوتأويلية ميزت أدب ما بعد الحداثة الذي عرف بأنه أدب الاختلاف والتشذر والتشظي، بل استعان هذا الأدب بالوسائط الرقمية التي تترجم مآل الإنسان في زمن أصبح فيه رقما مضافا للأرقام الصماء.

المظاهر اللغوية:

المقطع الأول :عدد سطوره ستة وعدد كلماته ثمانية عشر كلمة منها ثلاثة أفعال : سجل -سيأتي. تغضب.

المقطع الثاني :عدد سطوره عشرة وعدد كلماته خمس وثلاثون كلمة، منها ستة أفعال، وهكذا تسير القصيدة بهذا الشكل، حيث نجد سيطرة الأسماء لما يمتاز به الاسم من

---

[27]- سورة النمل، الآية.48

لاستقرار والثبات، ولعل ثبات الشاعر واستقراره على مبدإ واحد وهو مبدأ الحق في الكرامة والحرية والعزة جعله يوظف الاسم.

أما توظيف الأفعال الدالة على الحركة والتجدد فدليل على حركية الشعب الفلسطيني، ورفضه للظلم وثورته لاسترداد الحرية .من هنا جاءت المظاهر اللغوية متنوعة بين:

1- **المظاهر الإدراكية المحسوسة :**ممثلة في حديثه عن الأطفال، المحجر، رغيف الخبز، الباب، السرو، الزيتون، العشب، العقال، الكوفية، الكروم، الصخور، اللحم، فمثلا السرو يدل على التجذر، الزيتون رمز للسلام، العشب رمز للخصب والنماء، الأطفال رمز للاستمرارية، العقال والكوفية رمز للأصالة والانتماء العربي.

2- **المظاهر الأيقونية:** أطفالي ثمانية، وتاسعهم سيأتي بعد صيف :فكلاهما صورة للعربي المعروف بكثرة الأبناء.

أسل لهم رغيف الخبز :صورة التحدي.

أنا اسم بلا لقب :صورة أصل العربي حيث كان يحمل اسمه واسم أبيه واسم جده، قبل أن يعمد الاستعمار إلى زرع الألقاب من باب تحقيق هدفه الاستدماري/ فرق تسد./

يعلمني شموخَ الشمس قبل قراءة الكتب :رمز عزة العربي.

لون الشعر ...فحمي/ لون العين ...بني :صورة للجنس العربي.

أنا لا أكره الناس/ ولا أسطو على أحد :صورة العربي المسالم.

ولكني إذا ما جعت/ آكل لحم مغتصبي :صورة العربي الثائر لعرضه وأرضه، وكأننا بالشاعر محمد درويش في هذه القصيدة يريد أن يترجم مقولة البشير الإبراهيمي" الأمة التي تُصنَع لها الحياة يُصنع لها الموت"، يذكر كيف صنع العربي حضارته عندما خدم

أرضه، وصان عرضه، وحمى وطنه، وأعلى انتماءه، وأعز شخصيته، فأصل عروبته، فكان التحدي رمزه والشموخ صفته.

3ـ مظاهر التدرج :

المقطع الأول :العربي رمز لصورة الشاعر المترجمة لصورة الشعب الفلسطيني.

المقطع الثاني :العربي رمز لصورة التكافل والتضامن والتحدي.

المقطع الثالث :العربي رمز الأصالة والتجذر.

المقطع الرابع :صفات العربي.

المقطع الخامس :مقارنة الآخر/ الظالم المحتل الغاصب /بالعربي الطيب العفو المحب.

الخاتمة:

بعد هذا الرحيل مع موضوع شغل الشاعر محمود درويش إنه هوية الشعب الفلسطيني وقضيته التي أخذت مساحة كبيرة من شعره خلص البحث إلى مجموعة من النتائج تنخلت منها الآتي:

- القضية الفلسطينية تخلّقت في رحم فكر محمود درويش، فإذا المولود شعر خالد خلود الحق، باق بقاء الحقيقة.
- استحلب الشاعر القيم النبيلة ونفثها في صور فإذا هي منتَج إبداعي يستحق الدراسة.
- حلق محمود درويش بالقضية الفلسطينية إلى آفاق العالمية، فغذاها من روحه قبل شعره، وأطعمها من فكره قبل لحمه.
- ضاع الشاعر بين الواقع والمثال فقدم مفرداته قربانا للتغيير.
- استبطنت مفردات القصيدة كثيرا من الذكريات التي اخترقت الزمن حينا، وجعلته ينكسر أحيانا، وفي هذا التلون تبدو روح المقاومة الفكرية المعنوية التي لا تعترف بالحدود المكانية والزمانية.

- اكتسبت المفردات في هذه القصيدة شرعيتها بخروجها عن أنماط التعبير المألوفة، فانهزم شتاء المحتل أمام ربيع المفردات.
- تعدد الأصوات في القصيدة متنفس الشاعر، فهو يدرك أن لا معنى لصوته إذا لم تكن هناك أصوات أخرى يسمعها وتسمعه.
- تنوعت المظاهر اللغوية بين المظاهر الإدراكية والأيقونية ومظاهر التدرج لتترجم بذلك تمفصلات النص.
- عكست مفرداته تقنيات تعبيرية تميزت بحركة دائرية تعكس حركة الحياة والموت، بل قل:إنها تعكس حركة الثورة والطموح للاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع:

1. -[1]إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،.2010
2. -[2]أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط3،.1983

4- السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1988

5- المنجد العربي، مجموعة من الأساتذة، مصر، (د-ت)

6- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،.1994

7- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج25 ، ع" 3يناير-مارس"، الكويت،.1997

8- جيرار جينيت، حالة مزدوجة للكلمات، تحقيق. مالك سلمان، مجلة كتابات معاصرة،ع.18

9- رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3،.1978

10- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، دار العودة، بيروت،1986

3. -[18]عبد الحق بلعابد، عتبات" جيرار جينيت من النص إلى المناص"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط7،.2008
4. -[19]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت،.1999
5. [20]-عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، دار الكتاب العربي، الجزائر،.1998
6. [21]- محمد كشاش، لغة العيون، المكتبة العصرية، بيروت، ط1،.1999
7. [22]- ميخائيل باختين، شعرية ديستويوفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقان للنشر، الدرا البيضاء،.1986
8. [24]يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، بنية القصيدة، ترمحمد فتوح أحمد، دار المعارف، مصر، د-ت